42-الشورى-مكية-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ
رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ
ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ
وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ
وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ
فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

(حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ)أوحى الله هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء و المرسلين،ففيه بيان فضله بإنزال الكتب و إرسال الرسل،سابقا و لاحقا

(ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ)فِي انْتِقَامِهِ(ٱلۡحَكِيمُ)فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ–تنزيل من اتصف بالألوهية و العزة العظيمة و الحكمة 3

(لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ)و جميع العالم العلوي و السفلي ملكه و تحت تدبيره القدري و الشرعي

(وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ)بذاته و قدره و قهره(ٱلۡعَظِيمُ) كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ}[الرَّعْدِ: 9]الذي من عظمته

(تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ)يتشقَّقْنَ فَرَقًا مِنَ الْعَظَمَةِ

(مِن فَوۡقِهِنَّۚ)على عظمها و كونها جمادا (وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)الكرام خاضعون لعظمته مستكينون لعزته مذعنون بربوبيته(يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ)و يعظمونه عن كل نقص، و يصفونه بكل كمال

(وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ)عما يصدر منهم، مما لا يليق بعظمة ربهم و كبريائه

(أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)الذي لولا مغفرته و رحمته، لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة 5

(وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ)
يتولونهم بالعبادة و الطاعة، كما يعبدون الله و يطيعونه، فإنما اتخذوا الباطل، و ليسوا بأولياء على الحقيقة

(ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ)يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها و شرها.

(وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ)فتسأل عن أعمالهم و إنما أنت مبلغ أديت وظيفتك 6

(وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ)ثم ذكر منته على رسوله و على الناس حيث أنزل الله(قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا)بين الألفاظ و المعانى

(لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ)مكة(وَمَنۡ حَوۡلَهَا)مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ شَرْقًا وَ غَرْبًا-سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرَى"لِأَنَّهَا أَشْرَفُ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ- مسند أحمد18715-عن عَبْدِ اللهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ الزُّهْرِيَّ أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَ هُوَ وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ فِي سُوقِ مَكَّةَ وَ اللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَ أَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ

(وَتُنذِرَ) الناس(يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ)الذي يجمع الله به الأولين و الآخرين و تخبرهم أنه (لَا رَيۡبَ فِيهِۚ)شك فيه

و أن الخلق ينقسمون فيه فريقين:-

1-(فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ)و هم الذين آمنوا بالله و صدقوا المرسلين

2-(وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ) و هم أصناف الكفرة المكذبين 7

***مسند أحمد 17593عَنْ أَبِي نَضْرَةَ:-أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺيُقَالُ لَهُ:أَبُو عَبْدِ اللهِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ وَ هُوَ يَبْكِي، فَقَالُوا لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي"؟ قَالَ: بَلَى، وَ لَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:إِنَّ اللهَ قَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً، وَ أُخْرَى بِالْيَدِ الْأُخْرَى وَ قَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَ هَذِهِ لِهَذِهِ، وَ لَا أُبَالِي فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا

(و) مع هذا(وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ)لجعل الناس(أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ)على الهدى، لأنه القادر الذي لا يمتنع عليه شيء،

(وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ)و لكنه أراد أن يدخل في رحمته من شاء من خواص خلقه

(وَٱلظَّٰلِمُونَ)و أما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة،

فــــــــ(مَا لَهُم)من دون الله(مِّن وَلِيّٖ)يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب (وَلَا نَصِيرٍ)يدفع عنهم المكروه.

(أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ) يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط(فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ)

الذي يتولاه عبده بعبادته و طاعته، و التقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات و يتولى عباده عموما بتدبيره،

و نفوذ القدر فيهمو يتولى عباده المؤمنين خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى النور،

و تربيتهم بلطفه، و إعانتهم في جميع أمورهم.(وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

هو المتصرف بالإحياء و الإماتة، و نفوذ المشيئة و القدرة، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

(وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ)

من أصول دينكم و فروعه مما لم تتفقوا عليه-مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ وَ هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ

(فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ)يرد إلى كتابه، و إلى سنة رسوله، فما حكما به فهو الحق، و ما خالف ذلك فباطل.

هُوَ الْحَاكِمُ فِيهِ بِكِتَابِهِ، وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ كَقَوْلِهِ:{فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ} [النِّسَاء:59]

(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي)فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبرفهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم

و مفهوم الآية الكريمة:–

أن اتفاق الأمة حجة قاطعة،لأن اللّه تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه

فما اتفقنا عليه يكفي اتفاق الأمة عليه،لأنها معصومة عن الخطأ و لا بد أن يكون اتفاقها موافقا لما في كتاب اللّه و سنة رسوله

(عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ)اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع و دفع المضار واثقا به تعالى في الإسعاف بذلك

(وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ)أتوجه بقلبي و بدني إليه، و إلى طاعته و عبادته.

و هذان الأصلان، كثيرا ما يذكرهما اللّه في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد،

و يفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)و قوله:(فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ
لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ
وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ
ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا
بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ
لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾

(فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)خالقهما بقدرته و مشيئته و حكمته(جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا)

لتسكنوا إليها، و تنتشر منكم الذرية، و يحصل لكم من النفع ما يحصل(وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ)

و من جميع أصنافها نوعين ذكرا و أنثى لتبقى و تنمو لمنافعكم الكثيرة–جعل ذلك لأجل النعمة عليكم،

(يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ)يبثكم و يكثركم و يكثر مواشيكم

(لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ)ليس يشبهه تعالى و لا يماثله شيء من مخلوقاته،

لا في ذاته، و لا في أسمائه، و لا في صفاته، و لا في أفعاله لأن أسماءه كلها حسنى،

و صفاته صفة كمال و عظمة، و أفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك،

فليس كمثله شيء، لانفراده و توحده بالكمال من كل وجه.

(وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ)لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات

(ٱلۡبَصِيرُ)يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، و يرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا،و سريان الماء في الأغصان الدقيقة.

و هذه الآية و نحوها، دليل لـــــــــ:–مذهب أهل السنة و الجماعة، مــــــــن:–

1–إثبات الصفات 2–و نفي مماثلة المخلوقات 3–و فيها رد على المشبهة في قوله: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ)

و على المعطلة في قوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) 11

(لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)له ملك السماوات و الأرض و بيده مفاتيح الرحمة و الأرزاق و النعم

(يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ)يوسعه و يعطيه من أصناف الرزق ما شاء(وَيَقۡدِرُۚ)

يضيق على من يشاء حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها و كل هذا تابع لعلمه و حكمته

(إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ)فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته و تقتضيه مشيئته12

(أَنۡ أَقِيمُواْ)أمركم أن تقيموا جميع شرائع (ٱلدِّينَ)أصــوله و فــروعه تقيمونه بأنفسكم

و تجتهدون في إقامته على غيركم، و تعاونون على البر و التقوى و لا تعاونون على الإثم و العدوان

(وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ)ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين و فروعه و احرصوا على أن لا تفرقكم المسائل.

و تحزبكم أحزابا و تكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم.

و من أنواع الاجتمـــــــاع على الدين و عـــــــدم التفـــــرق فيه:-

ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد و الجمع والصلوات الخمس و الجهاد،

و غير ذلك من العبادات التي لا تتم و لا تكمل إلا بـــــــ:-1-الاجتمــــــاع لها 2-و عدم التفـــرق

(كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ)شق عليهم غاية المشقة(مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ)حيث دعوتهم إلى الإخلاص للّه وحده

كقوله:(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُون)

(ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ)يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته و ولايته

(وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ)هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى،و هو إنابته لربه

و انجذاب دواعي قلبه إليه و كونه قاصدا وجهه،فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية

من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى:-(يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ) 13

(وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ)لمَّا أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم و نهاهم عن التفرق:-

أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب

الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، و ذلك كله (بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ)و عدوانا منهم، فإنهم تباغضوا

و تحاسدوا،و حصلت بينهم المشاحنة و العداوة، فوقع الاختلاف فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم.

(وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ)بتأخير العذاب القاضي(إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ)بتعجيل عذاب الكافرين

(وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ)الْجِيلَ الْمُتَأَخِّرَ بَعْدَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْمُكَذِّبِ لِلْحَقِّ

(لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ)
اشتباه كثير يوقع في الاختلاف،حيث اختلف سلفهم بغيا و عنادا،فإن خلفهم اختلفوا شكا و ارتيابا 14
(فَلِذَٰلِكَ)فللدين القويم و الصراط المستقيم الذي أنزل الله به كتبه و أرسل رسله(فَٱدْعُ)إليه أمتك و حضهم عليه، و جاهد عليه، من لم يقبله،(وَٱسْتَقِمْ)بنفسك(كَمَآ أُمِرْتَ)استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط و لا إفراط بل امتثالا لأوامر الله و اجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة،و بتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.و من المعلوم أن أمر الرسول ﷺأمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له.
(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ)أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة و المنافقين
إما باتبـــــاعهم على بعض دينهم أو بترك الدعـــــوة إلى الله أو بترك الاستقـــــامة
(وَقُلْ)لهم عند جدالهم و مناظرتهم:-(ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ)
في الحكم فيما اختلفتم فيه فلا تمنعني عداوتكم و بغضكم،يا أهل الكتاب من العدل بينكم
و من العدل في الحكم بين أهل الأقوال المختلفة من أهل الكتاب و غيرهم أن يقبل ما معهم من الحق، و يرد ما معهم من الباطل
(ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ)هو رب الجميع، لستم بأحق به منا(لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ)من خير و شر
كقوله:-{وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} [يُونُسَ:41]
(لَا حُجَّةَ)الخصومة-وَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ السَّيْفِ وَ هَذَا مُتَّجَهٌ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ
(بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ)أي:بعد ما تبينت الحقائق، و اتضح الحق من الباطل، و الهدى من الضلال
(ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ)يوم القيامة(وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ)فيجزي كلا بعمله، و يتبين حينئذ الصادق من الكاذب 15

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ
وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾
يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ
وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا
نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾
تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

(وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ)بالحجج الباطلة و الشبه المتناقضة(مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ)من بعد ما استجاب للّه أولو الألباب و العقول (حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ)باطلة مدفوعة(عِندَ رَبِّهِمۡ)لأنها مشتملة على رد الحق و كل ما خالف الحق، فهو باطل(وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ)لعصيانهم و إعراضهم عن حجج اللّه و بيناته و تكذيبها.

(وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ)هو أثر غضب اللّه عليهم، فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل.

***جَادَلُوا الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابُوا لِلّهِ وَ لِرَسُولِهِ، لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْهُدَى وَ طَمِعُوا أَنْ تَعُودَ الْجَاهِلِيَّةُ.

(ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ)هو هذا القرآن العظيم نـزل(بِٱلۡحَقِّ)و اشتمل على الحق و الصدق و اليقين و كله آيات بينات، و أدلة واضحات، على:-

1-جميع المطـــالب الإلهية 2-العقـــائد الـــدينية فجاء بأحسن المسائل و أوضح الدلائل.

و أمــــا (وَٱلۡمِيزَانَۗ)الانصاف-فهو العدل و الاعتبار بالقياس الصحيح و العقل الرجيح،

فكـــــل الــــدلائل العقليــــــة مــــــن:-

الآيات الآفـاقية و النفسية، و الاعتبـارات الشرعية و المناسبات و العلل و الأحكـام و الحكم:-

داخلــــــة في الميـــــــزان الذي أنزله الله تعالى و وضعه بين عباده،

لــــ:-1-يــــــزنوا به ما اشتبه من الأمور2-و يعـــرفوا به صدق ما أخبر به و أخبرت رسله،

(وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ)

ليس بمعلوم بعدها و لا متى تقوم فهي في كل وقت متوقع وقوعها مخوف وجبتها

(يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا)

عنادا و تكذيبا و تعجيزا لربهم (و كفرا و استبعادا) يقولون{مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سَبَأٍ:29]

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا)خائفـــــــون لإيمانهم بها و علمهم بما تشتمل عليه مـــــــن:-

1-الجـــــــزاء بالأعمال2-و خـــــــوفهم لمعرفتهم بربهم:-أن لا تكون أعمالهم منجية لهم و لا مسعدة

(وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ)الذي لا مرية فيه، و لا شك يعتريه(أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ)يخاصمون

(فِى)قيام(ٱلسَّاعَةِ)بعد ما امتروا فيها،ماروا الرسل و أتباعهم بإثباتها(لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ)فهم في شقاق بعيد

أى:معاندة و مخاصمة غير قريبة من الصواب، بل في غاية البعد عن الحق

فِي جَهْلٍ بَيِّنٍ لِأَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى

كَمَا قَالَ: {وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الرُّومِ:27]

(ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ)يخبر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه و يحبوه و يتعرضوا للطفه و كرمه و اللطف من أوصافه

تعالى معناه:-الذي يدرك الضمائر و السرائر الذي يوصل عباده-

و خصوصا المؤمنين-إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون و لا يحتسبون.

فمـــــــن لطفـــــــه بعبده المـــــــؤمن-

أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك مـــــــن:-

1-فطرته على محبة الحق و الانقياد له 2-و إيزاعه تعالى لملائكته الكرام أن :-يثبتوا عباده المؤمنين

و يحثوهم على الخير،و يلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيا لاتباعه.

3-و من لطفه أن أمر المؤمنين بالعبادات الاجتماعيةالتي بها تقوى عزائمهم و تنبعث هممهم و يحصل منهم

التنافس على الخير و الرغبة فيه و اقتداء بعضهم ببعض

4-و من لطفه أن قيض لعبده كل سبب يعوقه و يحول بينه و بين المعاصى حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا

و المال و الرياسة و نحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته أو تحمله على الغفلة عنه،

أو على معصية [صـــــــرفها عنه و قـــــــدر عليه رزقه]

(يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ)بحسب اقتضاء حكمته و لطفه(وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ)

الذي له القوة كلها فلا حول و لا قوة لأحد من المخلوقين إلا به،الذي دانت له جميع الأشياء

(مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ)أجرها و ثوابها، فآمن بها و صدق، و سعى لها سعيها

(نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ)بأن نضاعف عمله و جزاءه أضعافا كثيرة، كما قال تعالى:

(وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)

و مع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه.(وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا)و من كان يريد بعمله الدنيا وحدها بأن كانت الدنيا هي مقصوده و غاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته و لا رجا ثوابها، و لم يخش عقابها

(نُؤْتِهِۦ مِنْهَا)نصيبه الذي قسم له(وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ)قد حرم الجنة و استحق النار و جحيمها

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ)مــن:- 1-الشـــرك

2- و البدع3-و تحـريم ما أحل الله(الْبَحِيرَةِ وَ السَّائِبَةِ وَ الْوَصِيلَةِ وَ الْحَامِ وَ تَحْلِيلِ الْمَيْتَةِ وَ الدَّمِ وَ الْقِمَارِ)

4-و تحليـــــل ما حرم الله و نحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

صحيح البخاري4624- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:-قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَ رَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ،وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»( )

وَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَحَدَ مُلُوكِ خُزَاعَةَ وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ-و حَمَل قُرَيْشًا عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:-(وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ)لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلا بين الطوائف

المختلفة،و أنه سيؤخرهم إليه (لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ)لَعُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ، لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِنْظَارِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ

-في الوقت الحاضر بسعادة المحق و إهلاك المبطل لأن المقتضي للإهلاك موجود

(وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)و لكن أمامهم العذاب الأليم(المُوجِع)في الآخرة، هؤلاء و كل ظالم.

و في ذلك اليوم (تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ) (أنفسهم بالكفر و المعاصي)فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ

(مُشْفِقِينَ)خائفين وجلين(مِمَّا كَسَبُوا۟)أن يعاقبوا عليه(وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ)العقاب الذي خافوه

لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب من غير معارض من توبة و لا غيرها و وصلوا موضعا فات فيه الإمهال

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟)بقلوبهم بالله و بكتبه و رسله و ما جاءوا به

(وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)يشمـــــل كل عمل صالح مـــــن:-

1-أعمال القلـــــوب 2-و أعمال الجـــوارح مــــــن [الواجبات و المستحبات]

(فِى رَوْضَاتِ)بســـاتين-و الروضة في الجنة أنزه مكان فيها.(ٱلْجَنَّاتِ)و قصورها و نعيم الآخرة

(لَهُم مَّا يَشَآءُونَ)في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل، و مهما طلبوا حصل

(عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ)

(يحطم) يكسر. (قصبه) واحد الأقصاب و هي الأمعاء

ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ
لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا
قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

(ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)هذه البشارة العظيمة، التي هي أكبر البشائر على الإطلاق بشر بها الرحيم الرحمن، على يد أفضل خلقه لأهل الإيمان و العمل الصالح فهي أجل الغايات، و الوسيلة الموصلة إليها أفضل الوسائل(قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ)على تبليغي إياكم هذا القرآن و دعوتكم إلى أحكامه.

(أَجْرًا)فلست أريد أخذ أموالكم و لا التولي عليكم و الترأس و لا غير ذلك من الأغراض

(إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ)1-يحتمل أن المراد:-لا أسألكم عليه أجرا إلا أجرا واحدا هو لكم،و عائد نفعه إليكم، و هو أن تودوني و تحبوني في القرابةأي: لأجل القرابة. و يكون على هذا المودة الزائدة على مودة الإيمان فإن مودة الإيمان بالرسول و تقديم محبته على جميع المحاب بعد محبة الله، فرض على كل مسلم و هؤلاء طلب منهم زيادة على ذلك أن يحبوه لأجل القرابة، لأنه ﷺقد باشر بدعوته أقرب الناس إليه حتى إنه قيل:– إنه ليس في بطون قريش أحد، إلا و لرسول الله ﷺفيه قرابة.

2–و يحتمل أن المراد:–إلا مودة الله تعالى الصادقة، و هـــــــى:–التي يصحبها التقرب إلى الله، و التوسل بطاعته الدالة على صحتها و صدقها،و لهذا قال: (إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)أى:في التقرب إلى الله،

*الصحيح المسند من أسباب النزول:-مسند أحمد2024 عَنْ طَاوُسٍ قال:-سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ - الْمَعْنَى - عَنْ قَوْلِهِ عَزّ وَجَلّ: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}[الشورى23]- فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قَرَابَةُ مُحَمّدٍﷺ- قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ: عَجِلْتَ إِنّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلا لِرَسُولِ اللهِﷺ فِيهِمْ قَرَابَةٌ فَنَزَلَتْ:{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}[الشورى: 23] :-إِلا أَنْ تَصِلُوا قَرَابَةَ مَا بَيْنِي و بَيْنَكُمْ " (1)

(وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ)من صلاة، أو صوم، أو حج، أو إحسان إلى الخلق(نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ) بـــأن:-
1-يشــــرح الله صدره2-و ييســـــر أمره3-و تكـــون سببا للتوفيق لعمل آخر4-و يـــــزداد
بها عمل المؤمن5-و يـــــرتفع عند الله و عند خلقه6-و يحصـــل له الثواب العاجل و الآجل
وَ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:-إِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا وَ مِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ (السَّيِّئَةَ) بَعْدَهَا.
(إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ)يغفر الذنوب العظيمة و لو بلغت ما بلغت عند التوبة منها
(شَكُورٌ)و يشكر على العمل القليل بالأجر الكثير23
فـبمغفرته:-يغفر الذنوب و يستر العيوب و بــشكره:-يتقبل الحسنات و يضاعفها أضعافا كثيرة.
(أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ) فرموك بأشنع الأمور و أقبحها و هو الافتراء على الله بــــــ:-
1-ادعــــــاء النبوة2- و النسبـــة إلى الله ما هو بريء منه و هم يعلمون صدقك و أمانتك،
فكيف يتجرأون على هذا الكذب الصراح؟ بل تجرأوا بذلك على الله تعالى، فإنه قدح في الله،
حيث مكنك من هذه الدعوة العظيمة، المتضمنة – على موجب زعمهم- أكبر الفساد في الأرض
حيـــث :-1-مكنه الله من التصـــــريح بالدعوة2-ثم بنسبتهــــــا إليه
3-ثم يؤيــده بــ:-المعجـزات الظاهرات و الأدلـة القاهرات و النصر المبين و الاستيـلاء على من خالفه
(فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ)وَ سَلَبَ النبى ﷺ مَا كَانَ آتَاكَ مِنَ الْقُرْآنِ]فلا يعي شيئا و لا يدخل إليه خير
(وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ)و سنته الجارية أنه يمحو الباطل و يزيله و إن كان له صولة في بعض الأوقات فعاقبته
الاضمحلال(وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ)يُحَقِّقُهُ وَ يُثْبِتُهُ وَ يُبَيِّنُهُ وَ يُوَضِّحُهُ(بِكَلِمَٰتِهِۦٓ)بِحُجَجِهِ وَ بَرَاهِينِهِ-الكونية،
(إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)بما فيها و ما اتصفت به من خير و شر و ما أكنته و لم تبده.
(وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ)هذا بيان لكمال كرم الله تعالى و سعة جوده و تمام لطفه،
بقبول التوبة الصادرة من عباده حيــــــن:-
1-يقلعـــــــون عن ذنوبهم 2-و ينـــــدمون عليها3-و يعــــــزمون على أن لا يعاودوها،
[إذا قصدوا بذلك وجه ربهم] فـــــإن الله يقبلهـــــا بعـــــدما:-
1-انعقـــــــدت سببا للهلاك2-و وقـــــوع العقوبات الدنيوية و الدينية.
(وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ)و يمحوها، و يمحو أثرها من العيوب، و ما اقتضته من العقوبات، و يعود التائب عنده
كريما، كأنه ما عمل سوءا قط، و يحبه و يوفقه لما يقر به إليه-يَقْبَلُ التَّوْبَةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَ يَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
فِي الْمَاضِي- كَقَوْلِهِ:-{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النِّسَاءِ:110]

(وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ)فالله تعالى، دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه و التوبة من التقصير25

فانقسموا–بحسب الاستجابة له–إلى قسميـــــــن:–

1–مستجيبين وصفهم بقوله (وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ):–

أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه و ينقادون له و يلبون دعوته لأن ما معهم من الإيمان و العمل الصالح يحملهم على ذلك فإذا استجابوا له شكر الله لهم و هو الغفور الشكور

(وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ)و زادهم من فضله توفيقا و نشاطا على العملو زادهم مضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب و الفوز العظيم.

2–(وَٱلۡكَٰفِرُونَ)غير المستجيبين للّه و هم المعاندون الذين كفروا به و برسله

فـ(لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ)في الدنيا و الآخرة26

(۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا يَشَآءُۚ)

لغفلوا عن طاعة الله و أقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا فأوجبت لهم الإكباب على ما تشتهيه نفوسهم و لو كان معصية و ظلما.

(وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ)بحسب ما اقتضاه لطفه و حكمته–وَ لَكِنْ يَرْزُقُهُمْ مِنَ الرِّزْقِ مَا يَخْتَارُهُ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ فَيُغْنِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى، وَ يُفْقِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ

(إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ)

-الصحيح المسند من أسباب النزول:-ابن جرير عن عمرو بن حريث و غيره يقولون:-

إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ}**ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا**27

(وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ)المطر الغزير الذي به يغيث البلاد و العباد(مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ)

و انقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم،و أيسوا و عملوا لذلك الجدب أعمالا فينزل الله الغيث

(وَيَنشُرُ)به(رَحۡمَتَهُۥۚ)من إخراج الأقوات للآدميين و بهائمهم فيقع عندهم موقعا عظيما، و يستبشرون بذلك

(وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ)الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، و يتولى القيام بمصالح دينهم و دنياهم

(ٱلۡحَمِيدُ)في ولايته و تدبيره، الحميد على ما له من الكمال،و ما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال28

(وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ)و من أدلة قدرته العظيمة، و أنه سيحيي الموتى بعد موتهم(خَلۡقُ)هذه(ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

على عظمهما و سعتهما، الدال على قدرته و سعة سلطانه، و ما فيهما من الإتقان و الإحكام دال على حكمته و ما فيهما من المنافع والمصالح دال على رحمته، و ذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها،

و أن إلهية ما سواه باطلة.(وَمَا بَثَّ فِيهِمَا)نشر في السماوات و الأرض(مِن دَآبَّةٍۚ)من أصناف الدواب التي جعلها اللّه مصالح و منافع لعباده–يَشْمَلُ الْمَلَائِكَةَ وَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ وَ سَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهِمْ وَ أَلْوَانِهِمْ وَ لُغَاتِهِمْ، وَ طِبَاعِهِمْ وَ أَجْنَاسِهِمْ وَ أَنْوَاعِهِمْ، وَ قَدْ فَرَّقَهُمْ فِي أَرْجَاءِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَ السَّمَوَاتِ

(وَهُوَ)مع هذا كله(عَلَىٰ جَمْعِهِمْ)جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة(إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ)

فقدرته و مشيئته صالحان لذلك، و يتوقف وقوعه على وجود الخبر الصادق،

و قد علم أنه قد تواترت أخبار المرسلين و كتبهم بوقوعه29

(وَمَآ أَصَٰبَكُم)يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد (مِّن مُّصِيبَةٍ)في أبدانهم و أموالهم و أولادهم و فيما يحبون و يكون عزيزا عليهم(فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ)إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات،

(وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ)و أن ما يعفو اللّه عنه أكثر، فإن اللّه لا يظلم العباد، و لكن أنفسهم يظلمون

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) [فاطر:45]

و ليس إهمالا منه تعالى تأخير العقوبات و لا عجزا.

5641 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه:-عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَ لاَ وَصَبٍ،وَ لاَ هَمٍّ وَ لاَ حُزْنٍ وَ لاَ أَذًى وَ لاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ30

(وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ)

معجزين قدرة اللّه عليكم بل أنتم عاجزون في الأرض ليس عندكم امتناع عما ينفذه اللّه فيكم

(وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ)يتولاكم، فيحصل لكم المنافع وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عنكم المضار 31

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم
مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن
سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

(وَمِنْ ءَايَٰتِهِ)و من أدلة رحمته (ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ)من السفن، و المراكب النارية و الشراعية من عظمها

(كَٱلْأَعْلَٰمِ)الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج، و حفظها من التطام الأمواج32

(إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ)التي جعلها الله سببا لمشيها(فَيَظْلَلْنَ)الجوار(رَوَاكِدَ)سواكن(عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ)على ظهر البحر
لا تتقدم و لا تتأخر، و لا ينتقض هذا بالمراكب النارية،فإن من شرط مشيها وجود الريح
و إن شاء الله تعالى أوبق الجوار بما كسب أهلها—أغرقها في البحر و أتلفها و لكنه يحلم و يعفو عن كثير.

(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ)كثير الصبر على ما تكرهه نفسه و يشق عليها(في الشدائد)
فيُكْرِهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية، أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط

(شَكُورٍ)في الرخاء و عند النعم، يعترف بنعمة ربه و يخضع له، و يصرفها في مرضاته 33

(أَوْ يُوبِقْهُنَّ)وَ لَوْ شَاءَ لَأَهْلَكَ السُّفُنَ وَ غَرَّقَهَا (بِمَا كَسَبُوا۟)بِذُنُوبِ أَهْلِهَا الَّذِينَ هُمْ رَاكِبُونَ عَلَيْهَا

(وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ)مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَ لَوْ أَخَذَهُمْ بِجَمِيعِ ذُنُوبِهِمْ لَأَهْلَكَ كُلَّ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ34

(وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا)ليبطلوها (مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ)ملجأ—لا ينقذهم منقذ مما حل بهم من العقوبة35

(فَمَآ أُوتِيتُم)حصّلتم(مِّن شَىْءٍ)من ملك و رياسة و أموال و بنين و صحة (فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ)لذة منغصة منقطعة

(وَمَا عِندَ ٱللَّهِ)من الثواب الجزيل و النعيم المقيم (خَيْرٌ)من لذات الدنيا خيرية لا نسبة بينهما

(وَأَبۡقَىٰ)لأنه نعيم لا منغص فيه و لا كدر و لا انتقال ثم ذكر لمن هذا الثواب فقال:-

(لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ)جمعوا بين الإيمان الصحيح المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة و الباطنة،

و بين التـــــــوكل الذي هو الآلة لكل عمل،فكل عمل لا يصحبه التوكل فغير تام و هــــــــو:-

الاعتماد بالقلب على الله في جلب ما يحبه العبد،و دفع ما يكرهه مع الثقة به تعالى36

(وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ)و الفرق بين الكبائر و الفواحش – مع أن جميعهما كبائر-

(كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ)ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران (وَٱلۡفَوَٰحِشَ)هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها:-

كالزنا و نحوه، و أما مع إفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه-

ما فَحُش و قَبُح من أنواع المعاصى-مِنْ جُمْلَةِ الْكَبَائِرِ. الْأَظْهَرُ أَنَّهَا مِنْ أَشْنَعِهَا لِأَنَّ الْفَاحِشَةَ فِي اللُّغَةِ هِيَ الْخَصْلَةُ الْمُتَنَاهِيَةُ فِي الْقُبْحِ وَ كُلُّ مُتَشَدِّدٍ فِي شَيْءٍ مُبَالِغٍ فِيهِ فَهُوَ فَاحِشٌ فِيهِ.

(وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ)

سَجِيَّتُهُمْ وَ خَلْقُهُمْ وَ طَبْعُهُمْ تَقْتَضِي الصَّفْحَ وَ الْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ لَيْسَ سَجِيَّتُهُمُ الِانْتِقَامَ مِنَ النَّاسِ

صحيح البخاري 6126 -عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ:-«مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ»

كقوله(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ۞وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:-عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ:-كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَذِلُّوا و كانوا إذا قدروا عفوا37

(وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ)انقادوا لطاعته و لبَّوْا دعوته و صار قصدهم رضوانه و غايتهم الفوز بقربه

(وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)ظاهرها و باطنها، فرضها و نفلها.و من الاستجابة للّه، إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة

فلذلك عطفهما على ذلك، من باب عطف العام على الخاص، الدال على شرفه و فضله

(وَأَمۡرُهُمۡ)الديني و الدنيوي(شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ)لَا يُبْرِمُونَ أَمْرًا حَتَّى يَتَشَاوَرُوا فِيهِ، لِيَتَسَاعَدُوا بِآرَائِهِمْ

-لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم و هذا لا يكون إلا فرعا عــــــــن:-

اجتماعهم و توالفهم و توادهم و تحاببهم و كمال عقولهم

أنهم إذا أرادوا أمرا من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر و الرأي فيها:-

اجتمعوا لها و تشاوروا و بحثوا فيها،حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها و بادروها،

(وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ)من النفقات الواجبة كالزكاة و النفقة على الأقارب و نحوهم و المستحبة، كالصدقات38

(وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ)وصل إليهم من أعدائهم

(هُمۡ يَنتَصِرُونَ)لقوتهم و عزتهم و لم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار

فوصفهم بالإيمان، و على الله، و اجتناب الكبائر و الفواحش الذي تكفر به الصغائر، و الانقياد التام، و الاستجابة لربهم، إقامة الصلاة، و الإنفاق في وجوه الإحسان، و المشاورة في أمورهم و القوة و الانتصار على أعدائهم،فهذه خصال الكمال قد جمعوها،و يلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، و انتفاء ضدها.

(وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ) كَقَوْلِهِ{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[البقرة:194]

فَشَرَعَ الْعَدْلَ وَ هُوَ الْقَصَاصُ وَ نَدَبَ إِلَى الْفَضْلِ وَ هُوَ الْعَفْوُ كَقَوْلِهِ {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ

ذكـــــــر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات و أنها على ثلاث مراتب:-

1-عــــدل 2-و فضـــــل 3-و ظلـــــم

فمرتبة العــــدل:-جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة و لا نقص فالنفس بالنفس، و كل جارحة بالجارحة المماثلة لها، و المال يضمن بمثله.

و مرتبة الفضـــل:-العفو و الإصلاح عن المسيء

(فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ)يجزيه أجرا عظيما، و ثوابا كثيرا، و شرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه و كانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به

و في جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو و أن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به فكما يحب أن يعفو الله عنه فَلْيَعْفُ عنهم و كما يحب أن يسامحه الله فليسامحهم فإن الجزاء من جنس العمل.

صحيح مسلم(2588) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:-
«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَ مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»
و أما مرتبة الظلـــــم :-فقد ذكرها بقوله:

(إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ) الذين يجنون على غيرهم ابتداء أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم40

(وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ)انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه

(فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ)لا حرج عليهم في ذلك 41

(إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ)إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية(عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ)

و هذا شامل للظلم و البغي على الناس، في دمائهم و أموالهم و أعراضهم-يَبْدَؤُونَ النَّاسَ بِالظُّلْمِ.
مسلم(2587)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ)موجع للقلوب و الأبدان بحسب ظلمهم و بغيهم42

(وَلَمَن صَبَرَ)على ما يناله من أذى الخلق(وَغَفَرَ)لهم بأن سمح لهم عما يصدر منهم،

(إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ)لمن الأمور التي حث الله عليها و أكدها و أخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر و الحظوظ العظيمة، و من الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم و الهمم و ذوو الألباب و البصائر43

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل من أشق شيء عليها،و الصبر على الأذى و الصفح عنه و مغفرته و مقابلته بالإحسان أشق و أشقو لكنه يسير على من يسره الله عليه،و جاهد نفسه على الاتصاف به و استعان الله على ذلك ثم إذا ذاق العبد حلاوته و وجد آثاره تلقاه برحب الصدر، و سعة الخلق و التلذذ فيه.

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ)بسبب ظلمه (فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ) يتولى أمره و يهديه(وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ) مرأى و منظرا فظيعا صعبا شنيعا يظهرون الندم العظيم و الحزن على ما سلف منهم

و (يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ)

هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا لنعمل غير الذي كنا نعمل و هذا طلب للأمر المحال الذي لا يمكن44

وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾
وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم
مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾
فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ
وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ
وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا
أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾

(وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا)على النار (خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ)ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي في قلوبهم (يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ)ينظرون إلى النار مسارقة و شزرا، من هيبتها و خوفها(وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) حيث ظهرت عواقب الخلق، و تبين أهل الصدق من غيرهم:(إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ)على الحقيقة

(ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)حيث فوتوا أنفسهم جزيل الثواب، و حصلوا على أليم العقاب و فرق بينهم و بين أهليهم، فلم يجتمعوا بهم، آخر ما عليهم.

(أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ)أنفسهم بالكفر و المعاصي(فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ) دائم سرمدي أبدي-في سوائه و وسطه، منغمرين لا يخرجون منه أبدا و لا يفتر عنهم و هم فيه مبلسون45

(وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم)ينقذونهم

(مِّن دُونِ ٱللَّهِ)كما كانوا في الدنيا يمنون بذلك أنفسهم، ففي القيامة يتبين لهم و لغيرهم أن أسبابهم التي أملوها تقطعتو أنه حين جاءهم عذاب الله لم يدفع عنهم.

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ)تحصل به هدايته فهؤلاء ضلوا حيث زعموا في شركائهم النفع و دفع الضر فتبين حينئذ ضلالهم لأنه قد سدّت عليه طرق النجاة فالهداية و الإضلال بيده سبحانه دون سواه46

(ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم)يأمر تعالى عباده بـــــــ:-

1-الاستجابــة له بامتثال ما أمر به2-و اجتنــاب ما نهى عنه3-و بالمبـــادرة بذلك و عدم التسويف

(مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ) القيامة الذي إذا جاء (لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ)لا يمكن رده و استدراك الفائت

(مَا لَكُم)و ليس للعبد (مِّن مَّلۡجَإٖ)يلجأ إليه، فيفوت ربه، و يهرب منه(يَوۡمَئِذٖ)في ذلك اليوم

بل قد أحاطت الملائكة بالخليقة من خلفهم و نودوا

(وَمَا لَكُم)و ليس للعبد في ذلك اليوم

(مِّن نَّكِيرٖ)تتنكرون فيه-لما أجرمه بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه

و هذه الآية و نحوها فيها ذم الأمل و الأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد فإن للتأخير آفات 47

(فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ) عما جئتهم به بعد البيان التام

(فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ)تحفظ أعمالهم و تسأل عنها-لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ

(إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ)إِنَّمَا كَلَّفْنَاكَ أَنْ تُبْلِغَهُمْ رسالة الله إليهم-فإذا أديت ما عليك فقد وجب أجرك على اللّه،

سواء استجابوا أم أعرضوا،و حسابهم على اللّه الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم و كبيرها،

و ظاهرها و باطنها(وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا)ثم ذكر تعالى حالة الإنسان و أنه إذا أذاقه الله

(رَحۡمَةٗ)من صحة بدن و رزق رغد و جاه و نحوه(فَرِحَ بِهَاۖ)فرح فرحا مقصورا عليها، لا يتعداها

و يلزم من ذلك طمأنينته بها و إعراضه عن المنعم(وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ)مرض أو فقر، أو نحوهما

(بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ)طبيعته كفران النعمة السابقة، و التسخط لما أصابه من السيئة.

*** كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ:-صحيح البخاري304 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ﷛قَالَ:-خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ:يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»فَقُلْنَ:وَ بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَ تَكْفُرْنَ العَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَ دِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ-وَ مَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَ عَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟قَالَ:-«أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ»قُلْنَ:-بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَ لَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»

هذه الآية فيها الإخبار عـــــــن:-

1-سعــــــــة ملكه تعالى2-و نفـــــوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء3-و التـــدبير لجميع الأمور

حتى إن تدبيره تعالى، من عمومه، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد فإن النكاح من الأسباب

لولادة الأولادفاللّه تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء48

(يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا)مثل لوط ﵇

(وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ)مثل الخليل ابراهيم عليه السلام 49

(أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ)و منهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورا و إناثا(وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ)

و منهم من يجعله عقيما لا يولد له. كَيَحْيَى وَ عِيسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ(إِنَّهُۥ عَلِيمٌ)بكل شيء

(قَدِيرٌ)على كل شيء، فيتصرف بعلمه و إتقانه الأشياء، و بقدرته في مخلوقاته50

(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا)لما قال المكذبون لرسل الله، الكافرون بالله:-

(لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ)من كبرهم و تجبرهم، رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة:-

و أن تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء و المرسلين و صفوته من العالمين و أنه يكون على أحد هذه الأوجه

إما(أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا)بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك و لا مخاطبة منه شفاها

(أَوۡ)يكلمه منه شفاها لكن(مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ) كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحمن

(أَوۡ) يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي فـــــــــ(يُرۡسِلَ رَسُولٗا) كجبريل أو غيره من الملائكة.

(فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ)بإذن ربه، لا بمجرد هواه(مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ)تعالى (عَلِيٌّ) الذات

(عَلِيٌّ) الأوصاف، عظيمها، علي الأفعال،قد قهر كل شيء، و دانت له المخلوقات

(حَكِيمٌ) في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات و الشرائع51

وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ
مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(وَكَذَٰلِكَ)حين أوحينا إلى الرسل قبلك (أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ)و هو هذا القرآن الكريم،

سمـــــــــاه روحـــــــــا لأن:-

الــــــــروح يحيا به الجسد،و القرآن تحيا به القلوب و الأرواح، و تحيا به مصالح الدنيا و الدين لما فيه من الخير الكثير و العلم الغزير.و هو محض منة الله على رسوله و عباده المؤمنين من غير سبب منهم،

و لهذا قال:(مَا كُنتَ تَدۡرِي)قبل نزوله عليك (مَا ٱلۡكِتَٰبُ)ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة،

(وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ)و عمل بالشرائع الإلهية،بل كنت أميا لا تخط و لا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب

(وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ)

يستضيئون به في ظلمات الكفر و البدع و الأهواء المردية و يعرفون به الحقائق و يهتدون به إلى الصراط المستقيم.

لقَوْلِهِ:{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}[فُصِّلَتْ:44]

(وَإِنَّكَ)يا محمد(لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)

الخلق القويم-بتينه لهم و توضحه و تنيره و ترغبهم فيه،و تنهاهم عن ضده،و ترهبهم منه52

ثم فسر الصراط المستقيم فقال: -(صِرَٰطِ ٱللَّهِ)

أي:الصراط الذي نصبه الله لعباده،و أخبرهم أنه موصل إليه و إلى دار كرامته

(ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ)رَبُّهُمَا وَ مَالِكُهُمَا، وَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ

(أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ)

ترجع جميع أمور الخير و الشر-فيجازي كُلا بحسب عمله، إن خيرا فخير و إن شرا فشر53